وكان الطحال هو السبب

حاتم نصر فريد

لا أدرى تماما .. هل كان انتشار مرض شاه إيران السابق بتلك الصورة الرهيبة التى بدا عليها بعد فترة قصيرة من ذلك الهروب العظيم من الموت . بعد أن ضاقت به الأرض . وحاصره الخوف . وطارده الفزع من كل جانب ..

هل كان ذلك مجرد تطور للحالة المرضية نتيجة إصابته بسرطان الغدد الليمفاوية عام ١٩٧٣ ؟ وربما ! !

هل كان ذلك ترتيب قدر لتأكيد آية الهية عظمى . هى قوله تعالى : « ماأغنى عنه ماله وماكسب » ؟. من يدرى ؟!

د. ديبكى الجراح الامريكى

د. محمد المغربى الجراح المصرى

لقد انطلق شاه إيران السابق هاربا من اعدائه . ضاربا حول نفسه سياجا حديديا من الأمن لصد الموت . والغريب – بل المثير – ان الموت الحقيق كان معه .. يحمله .. فى أعمق أعماقه .. فى كريات دمه الحمراء .. فى جهازه الليمفاوى .. فى كبده .. فى طحاله .. !

إنها قصة مثيرة حقا .. أقرب إلى ذلك النوع من الأدب الذى يمتزج فيه الواقع بالخيال . فى اطار درامى تحرك أحداثه وتصنعها مفارقات قدرية غريبة ..

ولنذهب مع القصة من بدايتها ..

كانت البداية فى سنة ١٩٧٣ وكان وقتها يحكم إيران . وعلى رأسه أكبر التيجان الباهرة فى هذا العصر . عندما اصيب بسرطان الغدد الليمفاوية . وشخصه الدكتور الفرنسى جورج فلانسرين اخصائى أمراض الأورام والغدد الليمفاوية وسرطان الدم . وظل يعالج من هذا المرض فى صمت وهدوء دون أن يعلم بحقيقة هذا المرض سوى أقرب الناس إليه .

ومضت سنوات .. وخرج الشاه من إيران .. وسقط أول تاج .. تاج الملك .. وبدأ التاج الثانى يتأرجح .. تاج الصحة . بل لعله تاج الحياة ذاتها ..

رحلة إلى الموت

ازدادت بعد ذلك حالة الشاه سوءاً بشكل كبير . وامتد نشاط السرطان إلى الغدد الليمفاوية بصورة متزايدة . وفى « كورنيل » بالولايات المتحدة أجريت له أول جراحة بعد خروجه من إيران . ورغم أن هذه الجراحة كانت لاستئصال المرارة . فإنها أوضحت بصورة بالغة خطورة حالة الشاه الصحية ..

وسرعان ماتوالت بعد ذلك العمليات الجراحية . عندما ظهرت أورام سرطانية على جانبى الرقبة . وكان لابد من استئصالها .

وعندما جاء الشاه إلى مصر . وضع تحت رعاية مركزة للغاية بفريق من أكبر الأطباء المصريين الذين لهم سمعة محلية وعالمية باهرة . ومن هؤلاء الأطباء المصريين الذين كان لهم دور بارز الدكتور محمد المغربى استاذ الباثولوجى المساعد بكلية طب الأزهر ومستشق التحاليل الباثولوجية بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى . وهو حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٧٠ . وبعد أن عمل لمدة سنة مستشارا بمستشفى تشارنج كروس لتحاليل امراض الروماتيزم والكل بالاضافة إلى الأورام . عاد بعد ذلك إلى مصر .

يقول الدكتور محمد المغربى :

إنه بعد وصول الشاه إلى مصر وإجراء العديد من الفحوص والتحاليل المختلفة تقرر إجراء عملية استئصال الطحال الذى وصل حجمه إلى عشرة أمثال الحجم الطبيعى . وأصبح أداة ممتهنة للجسم نتيجة تكسيره لكريات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية . لهذا فقد لاحظ الناس من صور الشاه فى الصحافة وفى التليفزيون أنه يعانى من ضعف شديد نتيجة الأنيميا الحادة . وعلى الفور تولى اطباء نقل الدم تقييم تركيب دم الشاه . ووجد أن فصيلة دمه نادرة – لاتتعدى واحدا فى المليون – حيث إنه من فصيلة « ب » السالبة . أو مايعرف طبيا بـ RH سالب . بينما القاعدة أن معظم الرجال يكون RH بالسبة لهم موجبا .

وبعد عملية مسح شامل لعدد كبير من المتطوعين والمتطوعات وجدت الفصيلة النادرة . وأعطى الشاه جرعات مناسبة من الدم الطازج . فتحسنت حالة الشاه نسبيا . ثم اجريت عملية استئصال الطحال بعد ذلك . وهى العملية التى قام بها فريق الجراحة والتخدير الأمريكى برئاسة الدكتور ميشيل ديبكى ..

ويستطرد الدكتور محمد المغربى :

إنه فى الوقت الذى كانت تجرى فيه العملية للشاه . وكانت زوجته وافراد اسرته يتابعون خطوات العملية فى نفس اللحظة من خلال دائرة تليفزيونية . كان أطباء المعمل فى حالة طوارىء . وكانوا يقومون بالعديد من التحاليل البكتريولوجية والباثولوجية لتحديد نوع المرض ودرجة تقدمه ..

ثم جاء أحد أطباء التخدير الامريكيين بحمل الطحال الذى وضع فى وعاء معقم لفحصه . والغريب أننى فوجئت – مع الأطباء الامريكيين والمصريين – بشاب يرتدى بدلة جينز . ويحمل فى يده كاميرا يصور بها كل خطوات العمل الذى نقوم به . ويسأل عن أدق التفاصيل . ثم يصور الطحال فى أوضاع عديدة مختلفة . وعندما تعجبت كيف دخل هذا الشاب عرفت أنه ابن الشاه . الذى كان يتابع الحديث مع الأطباء الأمريكيين عن حالة والده الخطيرة . بل كان يشارك فى الحوار ويسأل عن كل شىء بشكل عادى جدا دون أى انفعال ..

لما بوزن الطحال فوجدناه ١٩٥٠ جراما أى مايعادل عشرة أمثال وزن الطحال الطبيعى – وزن الطحال الطبيعى يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ جرام – ثم قمنا بتصويره من جميع الاتجاهات . ثم قطعناه إلى نصفين . وقد تبين لنا بالعين المجردة وجود بؤر تختلف لونها عن لون الطحال الطبيعى . وهى اماكن انتشار السرطان . وعن طريق جهاز للتبريد العميق اسمه « كريوستات » . تم عمل قطاعات ميكروسكوبية عديدة للطحال . وتم صبغها وفحصها تحت الميكروسكوب . وتقديم نتائج هذا التحليل السريع لطحال الشاه فى خلال فترة قصيرة لم تتجاوز عشر دقائق . بينما التحليل بالطرق العادية يستغرق ٤٨ ساعة . وكانت نتيجة التحليل : ان سرطان الغدد الليمفاوية امتد إلى الطحال ..

وصلت مع الطحال عينة صغيرة من الكبد أيضا . وقمنا بفحصها بنفس الطريقة . ووجدنا أن السرطان قد وصل إليها أيضا . وأنه فى المرحلة الرابعة والأخيرة . وهى أخطر المراحل . وقد لاحظنا وكتبنا فى التقرير الطبى . أنه أثناء الفحص الميكروسكوبى للطحال والغدد الليمفاوية . وجود أجزاء من جسم البنكرياس اقتلعت بدون قصد أثناء استئصال الطحال . حيث ان البنكرياس عضو ملاصق إلى حد ما للطحال . وهذا يفسر ماحدث للشاه بعد ذلك . حيث إن حالته الصحية بعد أن تحسنت إلى حد كبير بعد العملية . فجأة ارتفعت الحرارة . وظهرت صعوبة فى التنفس وحدث رشح بللورى فى منطقة الصدر الذى وجد أنه تجمع صديدى لم يتجاوب مع العلاج بالمضادات الحيوية للميكروبات . ثم ثبت بعد ذلك أن هذا الرشح هو امتداد من الخجاب الحاجز عن طريق البطن . نتيجة حدوث ثقب فى البنكرياس – أثناء استئصال الطحال – أدى إلى حدوث حويصلة فى البنكرياس انتقل إليها ميكروب السالمونيلا وانتشر فى الأجزاء المحيطة وامتد إلى منطقة أسفل الرئة اليسرى وأحدث رشحا ..

□□ قلت للدكتور محمد المغربى : وهل اشترك الأطباء الامريكيون فى اجراء هذه التحاليل الدقيقة ؟

قال د . المغربى :

لقد حضر معنا أحد الأساتذة الامريكيين وهو متخصص فى التحاليل الباثولوجية . وتابع العمل مع باقى زملائه باعجاب شديد . وبعد أن قدمت اليهم نتائج التحليل الدقيقة فى هذا الزمن القياسى . التفت إلىّ هذا الأستاذ الأمريكى الكبير قائلا : لقد قمت بعمل رائع حقا . وللأسف الشديد فليس معى هدايا أقدمها لك سوى هذا السيجار ..

وفى الأيام التالية حضر جميع الأطباء الأمريكيين والفرنسيين وفحصوا الشرائح . وأقروا التشخيص الذى وضعته مع زميل الدكتور محمد حسن الليثى . كما أن الشهبانو طلبت إرسال الشرائح إلى فرنسا لفحصها . حيث عولج الشاه أول مرة عند ظهور المرض . وجاءت النتائج مطابقة تماما لما قررناه . بعد ذلك حدد الأطباء العلاج المناسب لحالة الشاه : وهو العلاج الكيماوى ..

علاجان ضروريان ومتعارضان والنتيجة : الموت

□□ قلت للدكتور محمد المغربى : ماهو تقييمك لحالة الشاه المرضية . بعد هذه الرحلة الزهبية المثيرة ؟

قال الدكتور المغربى :

الشاه أصيب فى البداية بسرطان العدد الليمفاوية وهو مايعرف علميا باسم **Histiocytic Lymphoma** والعقد الليمفاوية موجودة فى جميع أجزاء الجسم المختلفة . فى الرقبة وتحت الإبط وداخل التجويف الصدرى والبطن وحول الأجهزة التناسلية وعادة يبدأ السرطان فى عقدة من هذه العقد حيث تكبر ولايشترط ارتفاع فى درجة حرارة الجسم أو وجود ألم موضعى فى العقدة المنتفخة – وربما لايشعر المريض بأى ألم سوى ظهور تضخم بالعقدة . وإذا لجأ المريض للطبيب فى هذه المرحلة المبكرة وشك الجراح فى وجود سرطان . فيجب أن يجرى جراحة يقتلع فيها العقدة كاملة ويرسلها للمعمل الباثولوجى للفحص الميكروسكوبى لوضع التشخيص السليم . حيث

وهذه هى الخلايا المصابة بالسرطان وقد صورها د . المغربى .

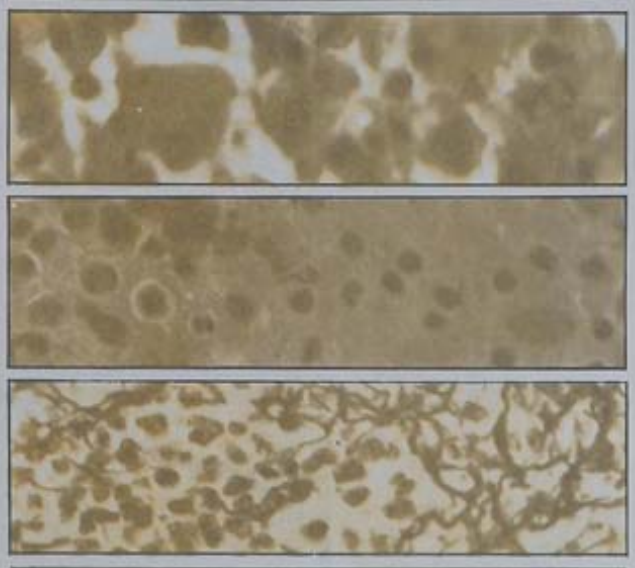

صور أخرى التقطت لاستئصال الخلايا السرطانية فى الطحال .

تضخم واضح جدا فى الطحال . ومن هذا العضو الخطر استشرى المرض . ويقال إن الجراح الامريكى عندما قطع الطحال قد قطع جانبا من البنكرياس ؟ !

إن سرطان الغدد الليمفاوية يقسم تحت الميكروسكوب الباثولوجي إلى عدة أنواع ، وكل نوع يختلف عن النوع الآخر فى طريقة العلاج وتجاوب المريض مع نوعية العلاج ومدى خطورة كل نوع فى تقييم مآتيق للمريض من عمر ، حتى النوع الواحد تمكن الأطباء الفرنسيون والامريكيون من تقسيمه إلى مراحل حسب انتشار المرض فى جسم المريض وهذه المراحل هى مرحلة أولى وثانية وثالثة ورابعة والمرحلة الرابعة هى أخطر المراحل ، وهى التى وصل إليها الشاه طوال الفترة الاخيرة بعد أن انتشر المرض من الغدد المصابة التى كانت فى الرقبة عام ١٩٧٣ حتى وصل الطحال والكبد .

وتحديد نوع الإصابة ودرجتها يحتاج إلى أخذ عينات من هذه الأعضاء ومن نخاع العظام وارسالها إلى المعمل الباثولوجى لفحصها بالميكروسكوب وتحديد التشخيص السليم الذى سيعتمد عليه بعد ذلك اعطاء المريض العلاج المطلوب بناء على التحليل الباثولوجى . وكما ذكرنا فإن الجراحة تستخدم فى تقييم المرض مبدئيا ، حيث تؤخذ إحدى هذه الغدد وترسل للمعمل . أما أساس علاج هذا المرض فهو الأشعة العميقة والأدوية الكيماوية المضادة للسرطان ..

وإذا اكتشف المرض مبكرا ، فإن نسبة الشفاء من المرض تكون مرتفعة ، وفى هذه الحالة يعطى المريض العلاج الكيماوى الذى هو خليط من أدوية مختلفة تقتل الخلايا السرطانية التى تتقاسم بسرعة كبيرة ، ولكن العلاج الكيماوى يهاجم فى الوقت نفسه بقية خلايا الجسم السليمة مثل خلايا الغشاء المبطن للجهاز الهضمى والنخاع العظمى الذى يكون عناصر الدم وهى الكرات الدموية الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية المسئولة عن إيقاف أى نزيف داخلى أو خارجى . ولذلك فمع العلاج الكيماوى يجب عمل تحاليل دم مستمرة ، حتى يتجنب الانخفاض الشديد فى كرات الدم البيضاء التى تلعب دورا هاما فى اعطاء المناعة للجسم من الميكروبات المحيطة بالمريض أو التى تتعايش معه ثم تنقلب إلى ضارة وشرسة فى حالة ضعف المقاومة والمناعة مما يؤدى إلى التهاب رئوى فى الصدر أو التهاب فى المجارى البولية مما يؤدى إلى فشل كلوى قاتل . والالتهاب الرئوى يمكن تشخيصه أثناء العلاج بارتفاع درجة الحرارة للمريض وصعوبة فى التنفس مع عمل أشعة للصدر . كذلك يؤثر العلاج الكيماوى فى الصفائح الدموية والمعروف أن الصفائح الدموية مسئولة عن تجلط الدم إذا أصيب المريض بأى جرح أو أجريت له عملية جراحية ، لذلك يجب قبل إجراء العملية دراسة عدد هذه الصفائح ، وإذا كانت قليلة يجب تعويضها للمريض قبل التدخل الجراحى . كذلك يوجد نقص فى كرات الدم الحمراء مما يؤدى إلى انيميا ويمكن معرفة ذلك بحساب الهيموجلوبين فى الدم ، وفى هذه الحالة يتحتم نقل دم طازج أو كرات دم متجمعة بطريقة معينة ..

وعل ذلك فقد عانى الشاه فى المرحلة الأخيرة من أخطار استخدام العلاج الكيماوى ، والذى يشمل ادوية لها خاصية قتل الخلايا السرطانية التى تتكاثر بسرعة ، ولكنها فى نفس الوقت تؤثر على بقية خلايا الجسم السليمة واهمها الكرات الدموية البيضاء التى تمثل أهم وسائل الدفاع الطبيعية داخل الجسم ضد أى ميكروب خارجى أو داخلى يتعايش مع الجسم ، فعند ضعف المقاومة تصبح هذه الميكروبات شرسة وتصيب الجسم بأمراض خطيرة ، وفى هذه الحالة يضطر الأطباء لوقف العلاج الكيماوى لزيادة المقاومة الطبيعية وعلاج الميكروبات المنتشرة فى الدم بالمضادات الحيوية ، غير أن توقف العلاج الكيماوى كان يعرض الشاه لهبوط شديد وضعف عام بالإضافة إلى زيادة نشاط سرطان الغدد الليمفاوية ، وهكذا تتعارض العلاج الأول ، وهو علاج سرطان الغدد الليمفاوية ، مع العلاج الثانى وهو علاج ضعف مقاومة الجسم وانتشار الميكروبات فى الدم وكانت النتيجة هى الألم والعذاب ثم .. الموت !

□ □

وتتابع المشاهد الأخيرة فى تلك الملحمة الرهيبة .. ملحمة صراع الموت مع الألم من أجل التاج الأخير تاج الحياة ذاتها .. ولكنه يتأرجح هو الآخر ، ويسقط ليأتى المشهد الأخير ويسدل الستار ..

.. وبدأت رحلة الموت من ربع قرن

● فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٤ دخل الشاه لأول مرة المستشفى فى نيويورك بعد شعوره بتضخم فى الغدد الليمفاوية فى الرقبة وتحت الابط ..

● فى ٢٢ مارس سنة ١٩٥٨ ، أصيب الشاه بانهيار عصبى ، وقرر الأطباء منحه راحة ، مع إمداد ستار كبير من السرية على علاجه ، ومنعت المصادر المسئولة بالقصر الامبراطورى صدور أية نشرات طبية عن حالة الشاه .

● فى شهر فبراير سنة ١٩٦٤ ، استدعى أكبر اخصائى الأمراض الباطنية بمدينة فينا للإشراف على علاج الشاه ، وأخذت الأنباء تتسرب لأول مرة عن إصابته بأمراض خبيثة ..

● فى ٢٥ يناير سنة ١٩٦٦ سافر الشاه إلى فينا للإستجمام واجراء بعض الفحوص الطبية .

● فى سنة ١٩٧٣ قام طبيب فرنسى كبير اخصائى أمراض الأورام الغدد الليمفاوية والسرطانية بالإشراف على علاجه

● فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٧٩ دخل الشاه مستشفى كورنيل ميديكال سنتر بنيويورك للعلاج ، وأعلن القصر الملكى عن اصابته بالسرطان ، وأن السرطان ينتشر بصورة كبيرة فى أنحاء جسمه ..

● فى ٢٤ مارس سنة ١٩٨٠ دخل الشاه مستشفى المعادى استعدادا لإجراء عملية استئصال الطحال بعد تضخمه بصورة كبيرة نتيجة إصابته بالسرطان ..

● فى ٢٦ مايو سنة ١٩٨٠ اجريت جراحة مبتكرة وحديثة لعلاج خراج تحت الحجاب الحاجز الأيسر ، بعد انتشار الميكروبات فى جسم الشاه نتيجة للعلاج الكيماوى لمقاومة سرطان الغدد الليمفاوية ..

● فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٨٠ أصيب الشاه بصدمة دورية نتيجة المضاعفات السابقة ، وأجريت له الاسعافات الطبية المركزة ولكن حالته تدهورت ..

● فى الساعة التاسعة و ٥٠ دقيقة من صباح الأحد ٢٧ يوليو سنة ١٩٨٠ ، انتقل الشاه إلى رحاب الله ..

● وقد اجريت للشاه خلال السنة الأخيرة سبع جراحات ، أربع منها أجريت خلال ٩٠ يوما فقط ، كما أجريت له منذ وصوله إلى مصر ٤٠ صورة أشعة للصدر والحجاب الحاجز ، و٢٢ عملية نقل دم طازجا من فصيلته النادرة و٥٢ تحليلا للدم والبول ..